

روح المعاني

وقيل الضمير للشمس والقمر والليل والنهار وفيه أن الليل والنهار لا يحسن وصفهما بالسباحة وإن كانت مجازا عن السير واختيار ضمير العقلاء إما لأنهما عقلاء حقيقية كما ذهب إليه بعض المسلمين كالفلاسفة وإما لأنهما عقلاء ادعاء وتنزيلا حيث نسب إليهما السباحة وهي من صنائع العقلاء والفلك في الأصل كل شيء دائر ومنه فلكه المغزل والمراد به هنا على ما روي عن ابن عباس والسدي رضي الله تعالى عنهم السماء .

وقال أكثر المفسرين : هو موج مكفوف تحت السماء يجري فيه الشمس والقمر وقال الضحاك : هو ليس بجسم وإنما هو مدار هذه النجوم والمشهور ما روي عن ابن عباس والسدي وفيه القول باستدارة السماء وفي كل في ملك رمز خفي إليه فإنه لا يستحيل بالإنقلاب وعليه أدلة جمة وكونها سقفا لا يأبى ذلك وقد وقع في كلام الفلاسفة إطلاق الفلك على السماء ووصوفه بأنه حي عالم متحرك بالإرادة حركة مستديرة لا غير ولا يقبل الكون والفساد والنمو والذبول والخرق والإلتئام ونوعه منحصر في شخصه وأنه لا حار ولا بارد ولا رطب ولا يابس ولا خفيف ولا ثقيل وأكثر هذه الأوصاف متفرع على أنه ليس في طباعه ميل مستقيم وقد رد ذلك في الكتب الكلامية وبنوا على امتناع الخرق والإلتئام أن الكوكب لا يتحرك إلا بحركة الفلك ولما رأوا حركات مختلفة قالوا بتعدد الأفلاك والمشهور أن الأفلاك الكلية تسعة سبعة للسبع السيارة وواحد للثوابت وآخر لتحريك الجميع الحركة اليومية والحق أنه لا قاطع على نفي ما عدا ذلك ألا ترى أن الشيخ الرئيس لم يظهر له أن الثوابت في كرة واحدة أو في كرات منطو بعضها على بعض وقولهم إن حركات الثوابت متشابهة ومتى كانت كذلك كانت مركوزة في فلك واحد غير يقيني أما صغراه فلأن حركاتها وإن كانت في الحس متشابهة لكن لعلها لا تكون في الحقيقة كذلك لأننا لو قدرنا أن الواحدة منها تتم الدورة في ست وقلاتين ألف سنة والأخرى تتمها في هذا الزمان لكن بنقصان عشرة أو أقل فالذي يخص الدرجة الواحدة من هذا القدر من التفاوت يقل جدا بحيث لا تفي أعمارنا بضبطه وإذا احتل ذلك سقط القطع بالتشابه ومما يزيد ذلك سقوطا والإحتمال قوة وجدان المتأخرين من أهل الأرصاد كوكبا أسرع حركة من الثوابت وأبطأ من السيارة سموه بهرشل ولم يظفر به أحد من المتقدمين في الدهور الماضية وأما كبراه فلا احتمال اشتراك الأشياء المختلفة في كثير من اللوازم فيجوز أن لكل فلكا على حدة وتكون تلك الأفلاك متوافقة في حركاتها جهة وقطبا ومنطقة وبطنا ثم إن الإحتمال غير مختص بفلك الثوابت بل حاصل في كل الأفلاك فيجوز أن يكون بين أفلاك السيارة أفلاك أخر وما يقال في إبطاله من أقرب قرب كل كوكب يساوي أبعد بعد كل الكواكب التي فرضت تحته ليس بشيء لأن بين

أبعد بعد القمر وأقرب قرب عطارد ثخن فلك جوزهر القمر وقد ذكر المحققون من أصحاب الهيئة أن لفلك التدوير لكل من العلوية ثلاث أكر محيط بعضها ببعض وجرم الكوكب مركز في الكرة الداخلة فيكون مقدار ثخن أربع كرات من تلك التدوير من كل واحد من السافل والعالي ثخن كرتين حائلا بين أقرب قرب العالي وأبعد بعد السافل وأثبتوا للسفلية خمسة تدوير فيكون بين أقرب قرب الزهرة وأبعد بعد عطارد ثخن ثمان كرات على أنهم إنما اعتقدوا أن أقرب قرب العالي مساو لأبعد بعد السافل لاعتقادهم أولا أنه ليس بين هذه الأفلاك ما يتخللها فليس يمكنهم بناء ذلك عليه وإلا لزم الدور بل لا بد فيه من دليل آخر وقولهم لا فضل في الفلكيات مع أنه كما ترى يبطله ما قالوا في عظم ثخن المحدد ويجوز أيضا أن يكون فوق التاسع من الأفلاك ما لا يعلمه إلا الله تعالى بل يحتمل إن يكون